

إن العودة عن مرسوم ناننت، من دون أية حجة ومن دون أية حاجة، وإطلاق العديد من القرارات والبيانات التي أتبع هذه العودة، لهم ثمرة هذه المؤامرة المهولة التي أدت إلى تهجير ربع سكان المملكة منها، وهو الأمر الذي أدى إلى انهيار التجارة، والذي أضعف البلاد في كل أجزائه، والذي جعل البلاد ضحية النهب العام، ومرتوكاً تحت رحمة تتائينه، والذي سمح بحصول كل هذه الآلام والتي أدت إلى موت الكثير من الأبرياء بالآلاف من كل الأجناس، والذي أدى إلى دمار شعب بكامله، الذي مزق عالمًا من العائلات، الذي سلح أهالي ضد أهالي آخرين من أجل السيطرة على ممتلكاتهم وتركهم يموتون من الجوع؛ الذي أدى إلى انتقال صناعتنا إلى الدول الخارجية، ما أدى إلى ازدهار هذه البلدان على حساب بلدنا، هناك حيث تم بناء مدن جديدة لهم، وحيث أعطوا الاهتمام بسبب أنهم شعب مضطهد، عار، لاجئ، شريد من دون أن يقترب أي جريمة، يبحث عن ملجئ بعيدًا عن بلده الأم؛ الأمر الذي وضع العديد من الأغنياء والنبلاء والعجزة، والناس الذين غالبًا ما كانوا معتبرين لتقواهم، وعلمهم، وممارسة الفضيلة، كما وضع الكثير من الناس الميسورين والضعفاء والمهمشين تحت رحمة الجنة، لا لسبب إلا الديانة؛ بالنهاية، ولتكتمل الفظائع، تم ملئ ولايات المملكة بحالات الكفر والخيانة، حيث الكل شعر بصرخات هؤلاء اليوساء ضحايا هذا الإرهاب، في وقت كان فيه عدد آخر من الناس يضحى بضميره ليحافظ على شيء من ممتلكاته وراحته، فيشتري هذه وذلك من خلال نذ ديانته، بحيث تم اقتيادهم وإجبارهم لأن يعبدوا ما لا يؤمنون به، وأن يتلقوا فعليًا الجسد الإلهي لقديس القديسين، في حينهم لا يزالوا مقتنعين أنهم لا يأكلون إلا خبزًا عليهم ان يعلنوه. ذلك كان الإرهاب العام الذي ولده العنف. من التعذيب إلى فرض تغيير الدين، ومن ثم إلى المناولة، لم يكن هناك مسافة أكثر من 24 ساعة. وكان معذبهم هم شهودهم ومن قادهم إلى الإيمان. ومن، فيما بعد، كان يشعر أنه بذل إيمانه بشيء من الراحة، لم يتأخر، بعد أن هرب على نكران عودته عن دينه.

كل الأساقفة إلى حد كبير كانوا مشاركن في هذه الممارسة العنيفة والردية. كثير منهم أجبروا على فعل ذلك؛ العدد الغالب منهم وجهوا المعذبين، وأجبروا حالات التحول [من البروتستانتية إلى الكاثوليكية]، وإجبار هؤلاء على المشاركة في الأسرار الإلهية من أجل تضخيم أعداد من غزوهم، وكانوا يرسلون هذه الحالات إلى المحكمة من أجل الحصول على المزيد من المكاسب والجوائز.

أما الممسكين بأمور الولايات فكانوا يساندونهم، هم وتنائينهم، وكانوا يرسلون اللوائح إلى المحاكم من أجل التصديق عليها. والعدد القليل جدًا من الحكام والعمداء العاميين للولايات المتواجدين، والعددي القليل جدًا من الأسياد المقيم عندهم، والذي كان لديهم الإمكانيات لم يكونوا يترددوا أخذ التصديقات من الأساقفة عندما كانوا يستطيعون إلى لك سبيلًا.

وكان الملك يحصل من كل الأطراف على آخر المستجدات والتفاصيل المتعلقة بهذه الاضطهادات وحالات التحول إلى الكاثوليكية. وكان يعد هؤلاء المتحولون بالآلاف الذين نكروا ديانتهم وقبلوا الكاثوليكية: ألفان في هذا الموضوع، وستة آلاف في الموضوع الآخر، كلهم مع بعضهم وفي المكان والزمان نفسه. وكان الملك يهنئ نفسه على قدرته وعلى تقواه. وكان يظن نفسه أنه في زمن التبشير الرسولي، وكان ينسب إلى نفسه كل شرف هذا الأمر. وكان الأساقفة يكتبون له التقديرات، واليسوعيون كانوا يحركون كراسيهم ومرسليهم. كل فرنسا كانت مليئة إرهابًا واضطرابًا، وكأنها لم تشهد هذا الكم من الانتصارات ومن السعادة ومن الابتهاالات في زمنها. لم يكن الملك يشك في صدقية هذه الحشود المتحولة إلى الكاثوليكية. وكان من يقوم بذلك يقصد أن يقنع الملك بذلك ويتطويبه مسبقًا. كانوا يشربون هذا السم بجرعات كبيرة. لم يظن أبدًا أنه بهذا الكبر أمام الرجال، ولا أكثر قريبًا من الله أكان في التعويض عن خطاياها أما في التعويض عن فضائح حياته. لم يكن ينتظر إلا المدائح، في حين أن الكاثوليكيين الجيدين والحقوقيين كانوا سيكون من كل قلبهم لما يروه من أناس مستقيمي الإيمان، بخلاف الهراطقات، يقدون ما قام به الطغاة الهراطقة والوثنيين ضد الحقيقة، وضد الشهداء. فهم لا يمكنهم أن يتصالحوا ضخامة موجة الخيانة والتكفير. كان هؤلاء الكاثوليكيين الحقيقيين يكون بمرارة واقع أن تطغى هذه الأساليب على الديانة الحقيقية، في حين أن جيراننا كانوا يفرحون لإضعاف الفرنسيين وتدميرهم لبلدهم، وكانوا يستفيدون من جنوننا، ويبنون مشاريع حاكمة كانوا يستمدونها من القوى البروتستانتية.

مذكرات سان سيمون، بحسب إيميه رينشارد، شمس القرن الكبير، باريس، تالاندييه، 2000، ص. 213-214، (نسخة من العام 1853 من مذكرات سان سيمون موجودة على موقع غوغل كتاب)، مذكورة على الرابط التالي:

<http://icp.ge.ch/po/cliotexte/xvie-xviie-et-xviie-siecles-absolutisme-pensees-et-societe-en-france/france.revocation.1685.html>